

حجاجية الحوار في رواية (الكرنك) لنجيب محفوظ

د. أميمة صبحي خليل علاء الدين

كلية الآداب- جامعة الفيوم، مصر

osk00@fayoum.edu.eg

الملخص:

الحوار هو حلبة لتبادل الأفكار والمواقف والأيدولوجيات كما ذكر باختين، وهو بهذا المفهوم أحد صور التواصل الحجاجي الإقناعي بين الأطراف المتحاور، فلا حجاج دون تواصل، ولا تواصل دون حجاج.

وليس من ريب في أن تعدد الأيدولوجيات وتباينها يُعدُّ بيئةً خصبةً لتنامي الحوار وتطوره وظهوره بأنماط مختلفة؛ لذا أولت هذه الورقة البحثية عنايتها بأنماط الحوار في رواية (الكرنك) - إحدى أشهر روايات نجيب محفوظ- وكشفت عن الوظائف الحجاجية لكل نمط حوار، وارتباط هذي الوظائف بمقاصد محفوظ وأهدافه في تقييم ثورة يوليو 1952، وإبراز منجزاتها الحقيقية، ورصد سلبياتها التي أدت إلى نكسة يونيو 1967.

وقد انتهت الدراسة إلى ظهور أربعة أنماط حوارية في (الكرنك) :

1- الحوار التناوبي: الذي يختفي فيه الراوي خلف وظيفة الناقل المحايد من خلال إسناده الأصوات إلى أصحابها.

2- الحوار المبتور: وهو ما تم فيه خرق نظام التناوب الصوتي، وتعبّر فيه المناوبة الحوارية عن استجابة الطرف المشارك في العملية الحوارية بفعل غير لغوي.

3- الحوار غير المباشر: ويُقصد به اشتراك عناصر لغوية وغير لغوية في عملية تفاعلية لها وظيفة داخل خطاب الرواية .

4- الحوار التفاوضي: الذي يعتمد على مبدأ المساومة لتحقيق مصلحة أحد الطرفين على مصلحة الآخر.

الكلمات المفتاح:

الحوار، التواصل الإقناعي، الوظائف الحجاجية، الحوار التناوبي، الحوار التفاوضي، الحوار غير المباشر، الحوار المبتور، رواية الكرنك.

The Argument of Dialogue in The Novel (Karnak) Najib Mahfouz

Dr. Omya Subhi Khalil Aladdin

Faculty of Arts, Fayoum University

osk00@fayoum.edu.eg

Abstract:

Dialogue is an arena for the exchange of ideas, attitudes and ideologies, as Bakhtin mentioned, and is in this sense one of the forms of persuasive argumental communication between the parties involved. There is no doubt that the multiplicity and diversity of ideologies is a fertile environment for the growth, development and emergence of dialogue in different patterns; July 1952, highlighting its real achievements and monitoring its negatives, which led to the June 1967 setback.

The study concluded that four dialogic patterns appeared in Karnak:

- 1- Alternating dialogue: in which the narrator hides behind the function of the neutral transmitter by assigning the sounds to their owners.
- 2- The truncated dialogue: in which the system of vocal alternation has been violated, in which the dialogic alternation expresses the response of the party participating in the dialogic process by a non-linguistic act.
- 3- Indirect dialogue: It means the participation of linguistic and non-linguistic elements in an interactive process that has a function within the discourse of the novel.
- 4- Negotiating dialogue: which depends on the principle of bargaining to achieve the interest of one party over the interest of the other.

Keywords:

Dialogue, persuasive argumental communication, Alternating dialogue, The truncated dialogue, Indirect dialogue, Negotiating dialogue, Karnak.

رواية

linguist
لللغويين

رواية الكرنك لنجيب محفوظ الفترة الزمنية التي عاشتها مصر بين حرب النكسة عام 1967م وحرب التحرير (حرب أكتوبر) عام 1973م، وتعرض الرواية لمظاهر الاستبداد ووقوع الحريات وكم الأصوات المعارضة للنظام السياسي في فترة حكم الرئيس جمال عبد الناصر، فضلا عن تعرضها لفساد أجهزة الأمن والمخابرات المصرية، وتنطلق أحداث الرواية من مقهى (الكرنك) حيث يلتقي فيه مجموعة من شباب الجامعة، وبعض المفكرين الذين ينتقدون الثورة وأخطاءها، فيتم اعتقالهم دون أسباب واضحة ودون أية جريمة. ثم يقضي هؤلاء الشباب فترة في المعتقل، يتعرضون خلالها للتعذيب والإهانة بشتى الأساليب؛ حتى تُنتزع اعترافات منهم بجرائم لم يرتكبوها. ثم تجبرهم أجهزة المخابرات على العمل جواسيس داخل أروقة الجامعة، وفي كل مكان تطؤه أقدامهم، وكتابة تقارير عن أي نشاط يمكن أن يحدث داخل الجامعة أو خارجها، الأمر الذي أحدث تمزقات وشروخ في الجبهة الداخلية، وأدى في النهاية إلى إلحاق الهزيمة بمصر واحتلال إسرائيل لسيناء. وفي النهاية يختم محفوظ الرواية بثورة التصحيح التي انتهجها الرئيس أنور السادات عندما أفرج عن المعتقلين السياسيين، وعاقب الفاسدين وتحقق الانتصار على إسرائيل واستردت سيناء عن طريق الحرب والسلام معاً.

يعد الحوار واحداً من أهم التقنيات المستخدمة في المجال الحجاجي؛ فاختلاف الأفكار وتباينها أو اتفاقها وتماثلها لا تنجلي مظاهره إلا بالحوار؛ فهو إذن، أحد أهم وسائل التواصل مع الآخرين، ولا تواصل دون حجاج كما صرح طه عبد الرحمن قائلاً: "لا تواصل باللسان من غير حجاج، ولا حجاج بغير تواصل باللسان"¹، ويكون من خلاله المجال

1. طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، ص5.

مفتوحاً أمام أطراف المحاور لتُراجع قناعاتها، وأفكارها إما بالانتصار لها والثبات عليها، أو بالتراجع عنها وتبني قناعات أخرى.

ولذلك جعل باختين (*M. Bakhtin*) الحوار أشبه "بمجلبة لتبادل الكلام وتبادل الأفكار والمواقف ووجهات النظر وتناظر العقائد، وقد يكون ذلك على الصدام أو التوافق أو الحياد"¹.

يكون الحجاج وسيلة المحاور إزاء صدامه أو توافقه أو حتى حياده مع الرأي الآخر؛ فيبني في خطابه "عالمًا يلتقي عناصره ويتخير تفصيله ودقائقه انتقاءً واعياً واختياراً مدروساً"²، فتكون غاية المحاور أن يقع المعترض عبر ملفوظاته بما يعصّد فكرته ويثبتها وفي المقابل يقوّض فكر الآخر وينفيه.

وبهذا المفهوم تتحقق لدينا الفعلية الخطابية للحجاج التي تستهدف الإقناع، وبهذا الاعتبار ننظر للحجاج على أنه بناء يتعالق فيه قصدان، "قصداً الادعاء الذي يختص به المتكلم، وقصداً الاعتراض الذي هو من حق المتلقي"³.

الحوار لغة:

وردت لفظة الحوار في المعاجم العربية بمعانٍ مختلفة، فالحوار مأخوذ من الجذر اللغوي (حَوَرَ)، ويجده الفيروز آبادي في القاموس المحيط بقوله: "الحوار الرجوع كالمحار والحوارة والحوّور والنقصان وما تحت الكور من العمامة، والتحير، والتعر والعمق ...، وما أحر جواباً: ما ردّ، والتحاور: التجاوب"⁴.

وقد وردت لفظة الحوار في لسان العرب بمعنى: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة...، واستحار الدار: استنطقها، من الحوار الذي هو الرجوع"⁵.

ومن هذه الدلالات اللغوية التي فاضت بها المعاجم العربية، يتبين أن الجذر اللغوي (حَوَرَ) يشير إلى دلالة الرجوع، وهي دلالة تتسق مع طبيعة الحوار التي تسمح بالتعديل والتغيير والرجوع عن بعض الأفكار والآراء وفق مستجدات معينة للمحاور أو لسياق التحاور.

1. باختين، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد براءة، ص 51.

2. سامية الدريدي، دراسات في الحجاج، ص 147.

3. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 226.

4. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، باب الرء.

5. ابن منظور، لسان العرب، باب الرء.

أما في الاصطلاح فالحوار "حديث يدور بين اثنين على الأقل ويتناول شتى الموضوعات... ويفترض فيه الإبانة عن المواقف والكشف عن خبايا النفس"¹، فهو ضرورة مجتمعية على مستوى الأفراد، والجماعات.

وإذا انتقلنا من عموم القول في الحوار بوصفه نمطًا اتصاليًا، إلى خصوصية وظيفته في علم السرد والحكي، لاحظنا أن وظيفته الحجاجية تكون هي الأولى والأكثر أهمية لدى المؤلف أو الراوي؛ فمن خلال الحوار يمكنه تجسيد أفكار الشخصية في صورة أقوال وملفوظات مدعياً من خلالها مصداقية النقل التي تُضفي عليها شرعية وطاقته إقناعية يمتاح منها منشئ الخطاب لتوجيه المخاطب وفق مقاصده وغاياته، فالحوار بذلك "يؤدي عملاً مساعداً للسرد في مجال تعميق الوصف التركيبي للشخصية وأحوالها في سياق الرواية"².

وتأسيساً على ما سبق، فإن رواية الكرنك واحدة من روايات نجيب محفوظ التي تقدمت سلبيات الثورة وسقطته الانفتاح والغلاء وغياب العدل الاجتماعي والعدل القانوني ... والنصر والسلام وغير ذلك من الأحداث العامة التي تشغل كل طوائف الشعب المصري واتجاهاته المتعددة. وجميعها أيديولوجيات وأطروحات تحتاج من نجيب محفوظ أن يعرضها في إطار فني حجاجي، يربط الأصوات بقائلها في الحوار، فيستطيع من خلالها توجيهها وفق غاياته الإقناعية ومقاصده ووجهة نظره.

وتبناين مسارات هذا التوجيه من راوٍ إلى آخر ومن خطاب إلى خطاب، فقد يعمد الراوي مثلاً أن يحافظ على تناوب الأصوات لتفسير نحو وجهة يقصدها وبتبنيها، وقد يقدم لنا حواراً مبتوراً، أو يستدعي سلطة قائلها وفوزهم، وقد ينتهج المزج والخلط والتداخل بين صوته وبقية الأصوات في الخطاب بهدف استعارة نجاحها وفعاليتها الإقناعية، وكل هذه السبل والمسارات يحددها منشئ الخطاب وفق أهدافه ومقاصده³. وقد تجلّت هذه المسارات جميعها في رواية الكرنك كما سنعرض لذلك لاحقاً.

1. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص 100.

2. عادل عوض، تعدد الأصوات في الرواية المحفوظية، ص 253.

3. ينظر: عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال (مقاربة سردية تداولية)، ص 269.

ولما لاحظتُ أن آليات التشكيل البنائي لمعمار الحوار في رواية الكرنك لم يخلُ من مسارات التوجيه آفة الذكر، خطرت لي تساؤلات هذه الورقة البحثية التي ضبطت حدودها وشكلت محاورها، ومنها:

- ما غاية نجيب محفوظ أو باعته من رواية الكرنك؟
- لماذا هدف إلى هذه الغاية؟
- كيف حقق غايته؟

وعبر استنطاق الخطاب الروائي في الكرنك، تكشّف تعدد بواعث التأليف لدى محفوظ؛ فكان منها: تقييم ثورة يوليو؛ تقييم يعري السقطات والزلات، كما يمجّد الإنجازات والأهداف. ثم ظهر باعث الرغبة في إبراز مدى انعكاس سقطات الثورة وإنجازاتها على طوائف الشعب المصري المختلفة¹. وقد تبع تلك البواعث باعث فرعي آخر هو الحديث عن فترة ما بين حرب النكسة وحرب التحرير²، وما بينها من فضيحة فساد المخبرات المصرية، وما تلاها من الاتهامات التي وُصم بها أفراد من طوائف الشعب المصري، وما نالهم من الاعتقال والتعذيب وانتهاك الحريات وتكليم الأفواه وهتك الأعراض.

لقد عكست الرواية جانباً من معاناة هؤلاء الذين آمنوا بثورة يوليو ثم افتروستهم آلية الديكتاتورية لاحقاً قبل النكسة بعامين أو أقل...، لقد عانى محفوظ -كما يبدو من غايات خطابه- من اضطراب تقييمي لثورة يوليو، لحقه كما لحق غيره من أبناء الشعب المصري، فهو تارةً يتبدى لنا متحمساً لها، منتصراً لتقييمها ومبادئها، وأخرى يكشف عن نقمته عليها، وعلى ما فعلته بأبنائها. ولعل الجامع الوحيد في نظري بين الانتصار للثورة والنقمة عليها هو الدافع الإنساني وليس الدافع السياسي. إذن، رصدنا الغاية والعلة، وتبقى لنا الوقوف على الآلية التي رام من خلالها إقناع الآخر تجاه هذا التضارب التقييمي للثورة ومنجزاتها، الذي من المحتمل أن يكون نجيب محفوظ قد حسمه؛ فكفر بالثورة وإن لم يكفر بمبادئها، المهم أننا إزاء قناعتين؛ أو بالأحرى إزاء قناعة واحدة مرت بأطوار تكوين،

1. ينظر: عادل عوض، تعدد الأصوات في الرواية المحفوظية، ص 260.

2. نكسة 1967 أو (حرب حزيران) أو (حرب الأيام الستة) هي حرب نشبت بين دولة الاحتلال الإسرائيلي وكل من مصر وسوريا والأردن عام 1967، انتهت باحتلال إسرائيل لقطاع غزة والضفة الغربية وسيناء وهضبة الجولان. والمقصود بحرب التحرير هي حرب السادس من أكتوبر 1973.

بدأ الطور الأول فيها بمرحلة الإيمان بالثورة والامتنان لها، وهو الطور الذي كشفته بعض الأصوات في الخطاب الروائي، كما ورد على لسان (قرنفة) صاحبة المقهى "لنحمد الله الذي أنعم علينا بالثورة"¹.

ثم تلاه الطور الثاني الذي تشكلت من خلاله زعزعة ذاك الإيمان وخلخلته، وهذا ما كشفته عبارة (إسماعيل الشيخ) مخاطبًا الراوي: "في السجن اجتاحتنا الضياع فاهتَز بناؤنا المتين من أساسه"².

ثم انتهى محفوظ بالطور الثالث الذي استحال فيه الإيمان كَفْرًا، والتصديق تكذيبًا، والسعادة حزنًا وكآبة، تقول (قرنفة) تعقيبًا على توالي حملات الاعتقال غير المبررة: "هل نخزن لأمر تقع بانتظام مثل الشروق والغروب؟ ... سوف يعودون، وسيجلسون بيننا كالأشباح، وعهد الله أن أسمي المقهى وقتذاك (مقهى الأشباح)"³.

فإذا تساءلنا عن الاستراتيجية⁴ التي توصلها نجيب محفوظ لتحقيق غايته الإقناعية ألفينها استراتيجية الحوار، التي عمد من خلالها إلى تشكيل الحوار وبنائه بالصورة التي تخدم أهدافه ومقاصده الحجاجية، لما للحوار من خاصية جذب "للمتقبل الحكائي الذي يتأثر بها ويسمع إلى أصواتها وقد يصبح طرفًا فيها يتبنى إحدى وجهات نظر ليختفي وراءها"⁵.

1. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، ص 515.

2. المصدر نفسه، ص 526.

3. المصدر نفسه، ص 523.

4. مفهوم الاستراتيجية: إن الإنسان "عندما يمارس أفعالاً فإنه يريد من ورائها تحقيق الأهداف، ولا يمكن تحقيق هذه الأهداف إلا بمساعدة سياق المجتمع الذي ينتمي إليه، ولذلك فإنه يتخذ طريقة معينة يتمكن بها من مراعاة الظروف التي تحيط بعمله أولاً؛ أي عناصر السياق، وتمكنه من بلوغ قصده ثانياً". ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب...، ص 24.

5. عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال (مقاربة سردية تداولية)، ص 268.

من هنا جاءت تقنية الحوار ثكأة يتكئ عليها الراوي داخل المتن الحكائي، ليحقق غاياته من خلال التنوع في أنماط الحوار، ودراسة هذه الأنماط الحوارية، تبين أنها خمسة أنواع: الحوار التناوبي- الحوار المتبور- الحوار غير المباشر- الحوار التفاوضي- المقارعة الشخصية¹. وفيما يلي تفصيل ذلك:

أولاً: الحوار التناوبي

في هذا النمط من الحوار يسند الراوي "الأصوات إلى أصحابها ليختفي خلف وظيفة الناقل المحايد، فتكتسب أقوال المقطع الحوارية القوة الإقناعية التي تستمدّها من أصحابها وما تظهره من صدقية هذه النسبة"².

فن خلال هذا التناوب بين الأصوات يظهر السجال بينهم، ومن ثم يُستدرج المتلقي للانخراط في هذا السجال، فيغدو مُشاركاً فيه، ومتبلياً وجهة نظر معينة بناء على ما أظهرته من أدلة تدعم بها رأيه، وتنقض به رأي الآخر.

من ذلك ما ورد في الحوار القائم بين (طه الغريب) و(رشاد مجدي) و(محمد بهجت) حول محاولة تفسير غياب شباب المقهى لعدة أسابيع وعلى رأسهم (حلمي حادة) و(إسماعيل الشيخ) و(زينب دياب):

"ويوما قال طه الغريب: سمعت عن أنباء اعتقالات واسعة. فوجئنا جميعاً وقلت: ولكن أغليبتهم تنتمي للثورة..."

فقال رشاد مجدي: ولكن وُجد أقلية مخالفة لا يُستهان بها.

فقال محمد بهجت: وضع الحق، قد أرادوا اعتقال المتهمين فساقوا أصدقاءهم معهم حتى يتم التحقيق"³.

حاول الراوي عبر الأصوات الآتفة أن يقدم للمتلقي أيولوجياتها عن الثورة، وأن يبرز مدى إيمانها بالثورة أو تحبطها واضطرابها في تقييمها وفهم آليات النظام في الحفاظ على منجزاتها.

1. وردت الأنواع الثلاثة الأولى في كتاب الحجاج في قصص الأمثال لعادل بن علي الغامدي، أما النوعان الأخيران فقد وردا في كتاب الحجاج والمغالطة لرشيد الراضي. وقد اعتمدت على هذه الأنماط الحوارية لمناسبتها لطبيعة الحوار في رواية الكرنك.

2. عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال، ص 273.

3. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص 517.

لقد كانت الملفوظات السابقة حاملة لتأويلات متعددة حيال اعتقالات الشباب، ويمكن أن نفهم إشارات هذه الملفوظات كما يلي:

الصوت الحواري	الملفوظ الحواري	إشارية الملفوظ الحواري
طه الغريب	"سمعت عن أبناء اعتقالات واسعة".	تفسير (غياب الشباب سببه الاعتقال).
الراوي	"ولكن أغليبتهم تنتمي للثورة..."	استنكار (كيف يتم اعتقالهم وهم من أبناء الثورة!؟)
رشاد مجدي	"ولكن وجد أقلية مخالفة لا يُستهان بها".	تقديم تبرير للاعتقال ينفي استنكار الراوي (الثقة المخالفة المندسة بينهم).
محمد بهجت	"وضح الحق، قد أرادوا اعتقال المتهمين فساقوا أصدقاءهم معهم حتى يتم التحقيق".	استخلاص النتيجة وتقديم التفسير المقبول المنطقي للغياب (النظام يجرم المتهم المخالف وصديقه وإن كان حليفا للثورة).

في المقطع الحواري الآنف، استخلصت النتيجة التي تفسر - غياب شباب المهفي تفسيراً مقبولاً منطقياً، قادت إليه أصوات ممدت له؛ فالملفوظ الحواري استدعى ملفوظاً حوارياً آخر ممد ملفوظ حوارياً آخر جديد.

وليس من ريب أن مثل هذه السجلات التناوبية بين أصوات الشخصيات تساهم حتماً في تكوين أيولوجية خاصة بالمتلقي الحكائي، الذي وجهه الراوي إلى غاية محددة، هي ذاتها غاية الراوي

وأيدولوجيته، وهي "إقامة الحجة، ودفع الشبهة والفساد من القول والرأي"¹، فأصبح الحوار الآنف تعاونًا "من المتحاورين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق"².

وإذا ما اطمأنَّ الراوي إلى تحقيق مقصده الحجاجي، فإنه يحاول توطيد أركانه داخل الذات المتلقية، فلا يبرح يترك متلقيه حتى يوقعه في شركٍ حجاجيٍّ جديد، فيحاول انتهاك نظام التناوب الحوارية المعين بأصوات حوارية محددة، إلى حوار تناوبي غير معين الأصوات، فيغدو نظامًا حوارياً مركّزًا على التعميم أو الإخفاء المقصود لماهية الصوت الحوارية. وهذا ما يجسده المقطع الحوارية التالي الذي تمّده له الراوي قائلاً³ :

"وجرى الحديث بيننا تعليقًا على الحدث:

- الاعتقال فعلٌ مخيفٌ حقًا.
- وما يُقالَ عمّا يقع للمُعْتَقَلِينَ أفضح.
- شائعات يقشعُرُ منها البدن.
- لا تحقيق ولا دفاع.
- لا يوجد قانون أصلًا.
- يقولون إننا نعيش ثورة يستوجب مسارها تلك الاستثناءات.
- وإنه لا بد من التضحية بالحرية والقانون ولو إلى حين.
- ولكن مضي - على الثورة ثلاثة عشر - عامًا أو يزيد فأن لها أن تستقر على نظام ثابت.

1. صالح بن عبد الله بن حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام، ص 8.

2. المرجع نفسه.

3. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص 517.

بالرغم من تعدد الأصوات المتحدثة، فإنها سارت نحو وجهة واحدة، واتفقت جميعها على تأطير الثورة إطارًا يأخذ من منجزاتها ومبادئها.

إن هذا الإسناد الحواري غير المعين لأصوات المتحدثين "يفهمنا قوة هذا الصوت؛ لتعدد الأصوات المتحدثة به وتطابق وجهات النظر حوله ... إن هذا الصوت المطلق يمد القول بقوة إقناعية كبيرة؛ إذ يحوِّله إلى حقائق مرسلة، وأقوال صادقة ليس لها معترض، فهي أقوال مُجمَع عليها..."¹.

ولعل الحقيقة التي قاد إليها ذلك النمط الحوارى التناوبى وآمنت بها معظم طوائف الشعب المصرى، هي حقيقة الارتداد إلى الماضى والحكم بأفضليته على الحاضر؛ حقيقة تجلّت كثيرا من التناوبات الصوتية غير المعينة للشخص سوى أنهم (جماعة الشيوخ):

- "لم نصل إلى مثل هذه الحال في أي عهد من العهود.
- حسبنا ما كنا نستظل به من حماية القانون.
- وحتى أعنف أيام الاستبداد لم تخل من صوت مُعارض حر.
- وأيام الجهاد والنفي والهداء المحيدة، كيف يمكن أن تُنسى؟

وما لبثوا أن رجعوا إلى الوراء أكثر وأكثر حتى استقرّوا في عهد ابن الخطاب والرسول، فتنافسوا في نبش الماضى يستخرجون أمجاده يتسلّون بها عن حاضرهم"².

لقد أفصحت سجالية الحوار الآنف عن وجهات نظر متكاملة تحدو بالقارئ نحو إقرار حقيقة؛ بطانتها اليأس والمرارة من حاضر جثم على الصدور بضاوة لم تشهدها أشد العصور استبدادًا وديكتاتورية، ولعلها إشارة إلى عصور الاستعمار الإنجليزي والفرنسي، وهي حقيقة كانت تراود الشيوخ رغم حماسهم الفاترة للثورة "لم يكن الماضى شرًّا خالصًا"³.

1. عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال (مقاربة سردية تداولية)، ص 302.

2. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص 524.

3. المصدر نفسه، ص 515.

ثانيا: الحوار المبتور

هو ذلك الحوار الذي يشهد انتهاكاً وخرقاً لنظام التناوب الصوتي في الحوار¹، فإذا كان الحوار التناوبي يتأسس على محور التبادل اللغوي بين الأصوات المتعددة المشاركة في الحوار، سواء أكانت أصوات متحدثين معيّنين (بالنعت أو بالاسم) أم غير معيّنين، فإن هذا النمط الحواري المبتور يتأسس على محور أن المناوبة الحوارية تعبر عن استجابة الطرف المشارك في العملية الحوارية بفعل غير لغوي. ومما لا شك فيه أن رد الفعل لغوياً كان أم غير لغوي يقوم حتماً بوظائف سردية في المتن الحكائي، وتتعدد هذه الوظائف وفق مقصدية المبدع من خطابه السردية.

فقد يكون مثلاً من هذه الوظائف: إبراز قول معين يجسّد حقيقة ما، وتأقي هذه الحقيقة - بالرغم من كونها وجهة نظر لأحد الأصوات- تأكيداً لقناعة عامة لطائفة من الشعب؛ الشيء الذي تجلّى من البتر الحوارية بين (إسماعيل الشيخ) والراوي حول تقييمه الأولي للثورة، وإيمانه بها حتى حدث له أمر الاعتقال:

- "لقد ظنك البعض شموعياً أو من الإخوان.

فقال بيقين: لا هذا ولا ذاك، واتمائي الوحيد كان إلى ثورة يوليو أما الآن...
وجعل يهز رأسه صامتاً كأنما لا يدري ما يقول، ثم قال: وقد عشثُ دهرًا وأنا أظن أن تاريخ مصر - يبدأ بالثالث والعشرين من يوليو، ولم أتجه للبحث عما وراء ذلك إلا بعد النكسة"².

تزعزع الثقة في الثورة والإيمان بها كانت هي الحقيقة التي تكشّفت أمام جموع المعتقلين ومنهم (إسماعيل الشيخ)، وقد أدى بتر الحوار إلى ترسيخها، وقيادة المتلقين نحو فهم محدد عبر قوله: "في السجن اجتاحتنا الضياع فاهتز بناؤنا المتين من أساسه"³، وقوله أيضاً بعد مثوله بين يدي (خالد صفوان)، ممدّ الأعصاب، رثّ الثياب "وتحلّلت البقية الباقية من آدميتي في رهبة شاملة"⁴.

1. يُنظر: عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال (مقاربة سردية تداولية)، ص 280.

2. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص 525.

3. المصدر نفسه، ص 526.

4. المصدر نفسه، ص 528.

وقد يكون أحد أهم دوافع البتر الحواري الحكم على وجهة نظر ما، كما ظهر في ملفوظ (إسماعيل الشيخ) خلال محاولته تبرير أخطاء الثورة والنظام، وما آلت إليه النكسة؛ فيقول مخاطباً للراوي: "لا أخفي عنك أنني أعجبت بقوة المعارضة وحرمتها، وبالذور الذي لعبه القضاء المصري، لم يكن العهد شراً خالصاً، وكان به عناصر فكرية جديرة بالاستمرار والنمو والازدهار، وكان التنكر لها من أسباب نكستنا"¹.

وقد أفصح عنها أيضاً حوار (خالد صفوان) مع (زينب دياب) في محاولة منه لتبرير عنفه معها خلال التحقيق، فيقول: "إنها حماية الثورة وهي أهم على أي حال من الأخطاء المحدودة، ونحن نبادر إلى إصلاح ما ينبغي إصلاحه منها، وسوف تذهبن وقد اكتسبت قيمة جديدة هي صداقتنا"².

هذا، وقد تتجلى غايات أخرى للحوار المنتور، مثل "إظهار وجهة نظر شخصية واحدة، وذلك بتأييدها ودعمها وإخفاء الرد المعارض لها، فتكون الصوت الظاهر الذي يستدعي منا الموافقة والقبول"³، الأمر الذي جسده خطاب (خالد صفوان) في أول ظهور له بالمتقى بعد النكسة، وتلاعبه بالكلمات التي تحيل منه مجرماً وضحية في آن، فيقول موجهاً خطابه ل(قرنفة) ومن معها بالمتقى:

"براءة في القرية

وطنية في المدينة

ثورة في الظلام

كرسي يشع قوة غير محدودة

عين سحرية تعري الحقائق

عضو حي يموت

1. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص 529.

2. المصدر نفسه، ص 536

3. عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال (مقاربة سردية تداولية)، ص 282.

جرثومة كامنة تدب فيها الحياة"¹.

لقد عمد الراوي من خلال الإفصاح عن الحوار المناوب له، إلى إبراز صوت (خالد صفوان) وأيدولوجيته وإقناع المتلقي بهذه الأيدولوجية، التي أقرّ الراوي نفسه فيما تلا هذا الحوار من صفحات، أن عددًا من الجالسين في المقهى قد استماتهم كلمات (خالد صفوان) "فاكتسب شعبية عقب انصرافه، وتوه كثيرون بقيمة عرضه، وبثراء مخزونه من الأسرار، بل وجد من يُدافع عنه، فيقول إنه لم يكن مسئولًا عن جرائمه أو لم يكن يتحمل المسؤولية الأولى"². لقد حاول (صفوان) استقطاب الآخرين باستراتيجية حوارية تضامنية، ويقصد بها "الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها، ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينها، وإجمالًا هي محاولة التقرب من المرسل وتقريبه"³، فمحاولة تأسيس علاقة ودية بينه وبين الحضور في مقهى الكرنك، وتحسين صورته أمامهم كانت من أهم دوافع هذه الاستراتيجية التضامنية.

حقيق أن كلماته تركت صدًى إيجابيًا في نفوس معظم الحاضرين، إلا أنه لم ينطل على (قرنفة) التي عقبّت محتدة: "زحزحوا المسؤولية من شخص لشخص حتى تستقر في النهاية فوق جمعة مسّاح الأذى"⁴.

ثالثًا: الحوار غير المباشر

تلوّنت أنماط الحوار في الكرنك بما يخدم مقاصد الراوي، فظهر الحوار التناوبي، والحوار المبتور، ثم يظهر لنا الحوار غير المباشر الذي تتمزج فيه "أساليب مختلفة وأصوات من مستويات متباينة، وعناصر لغوية وغير لغوية في عملية تفاعلية موظفة بعناية داخل خطاب القصة"⁵. وما يحدث في هذا النمط أن الراوي ينقل لنا أصوات الشخصيات في صورة حوارية إذا كانت هذه الأصوات تحمل دلالات تسهم في رفع كفاءة الحجاج، وتزيد من مقبوليتها عند المتلقي، أما إذا كانت أصواتًا لا

1. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص 541.

2. المصدر نفسه، ص 542.

3. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 257.

4. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص 542.

5. عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال (مقاربة سردية تداولية)، ص 286.

ترقى في أهميتها ولا في وظيفتها إلى درجة الحوار المباشر، فإنها تتماهى تماما في السرد، وتختفي منها الصبغة الحوارية.

وقد حفلت (الكرنك) بهذا النمط الحوارى في أكثر من موضع، نجد في اختزال الراوى لقصة (قرنفلة) مع (عارف سليمان) "وقصت عليّ قصة عادية، فقد جُنّ بها، ولكنها لم تشجعه قط. ولم تكن موارده تسمح له بالتردد الدائم على الملهى، فامتدت يده إلى اختلاس أموال الدولة. وظهر بين الرواد كالورثين، ولكنها لم تنل منه مليماً واحداً، ولم تنشأ بينها إلا العلاقة الرسمية التي تنشأ بحكم تقاليد الملاهى الليلية، ولم يتقدم خطوة حتى ضُبط متلبساً فقدّم للمحكمة ودخل السجن"¹. هكذا لا يقدم هذا النمط الحوارى إلا ما يُثير الاهتمام لدى المتلقى.

وفي موضع آخر يتم الدمج بين الحوار التناوبى (المباشر وغير المباشر) الذي يعرض فيه الراوى محتزلاً- ساردا لنا مرحلة توطيد علاقته بأسرة المقهى، فيقول: "انضمتُ إلى أسرة الكرنك بصفة نهائية ونفذت الأسرة في صميم حياتى. منحتنى (قرنفلة) صداقتها ومنحتها، لعبتُ الترد مع الشيوخ (محمد بهجت ورشاد مجدى وطه الغريب)، عرفتُ الشباب وعرفونى خاصة (زينب دياب وإسماعيل الشيخ وحلمى حمادة)، كما عرفتُ (زين العابدين عبد الله) مدير العلاقات العامة بإحدى المؤسسات، حتى (إمام الفوال) الجرسون و(جمعة) مسّاح الأحذية وعامل النظافة صارا لي صديقين. وعرفتُ سر الكرنك الاقتصادى فهو لا يعتمد أساساً على زبائنه المحدودين ولكن على أصحاب الحوانيت بشارع المهدي وزبائهم، وهو السر- وراء جودة مشروباته وامتيازها. ومن أسرارها أيضا أنه كان -وما زال- مجمع أصوات عظيمة الدلالة، تفصح نبراتها العالية والحافنة عن حقائق التاريخ الحيّ. لا يمكن أن تُنسى أحاديث القوم على عهد انضمامي إليهم"². ثم تجلّى هذا الدمج الحوارى أيضاً في خطاب (قرنفلة) عن مراحل تطور علاقتها بـ(حلمى حمادة) "وقد اعترفتُ لي قرنفلة بأنها هي التي بادأته بالغزل، وأمام رفاقه أيضاً. وتابعتُ مرة رأياً سياسياً يُدلى به ثم هتفتُ له وهي جالسة على مقربة منه: ليحى كل من تريد له الحياة، وليُث من تريد له الموت، ولما لُبى دعوتها لزيارة شقتها في الدور الرابع من العارة التي تقع

1. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص514.

2. المصدر نفسه، ص515.

الكرنك في أسفلها استقبلته استقبالا فاحرا، زينت حجرة الجلوس بالورود ومدّت مائدة حافلة وتصادعت أنغام راقصة من جھاز تسجيل"¹.

وإذا كان هذا النمط الحوارى يؤدي وظيفة اقتصادية تحمل دلالة التكميف والإيجاء، فإنها فضلا عن ذلك تلبي أفق التوقع عند المتلقي وترفع من درجة اقتناعه، فإذا كانت الكرنك قد كشفت من خلال شخصها وأحداثها اتصال العرى بين الراوى و(قرنفة وزينب دياب وإسماعيل الشيخ) بصفة خاصة؛ فكان لزاما على الراوى أن يهيئ المتلقي إلى قبول مسببات هذه العرى الموثقة.

وقد أسهم الحوار غير المباشر في عمل هذه التهيئة في كثير من المواضع. منها ما ورد على لسان الراوى سارداً "وظلّت معلوماتي ترتكز على الخيال حتى أتيح لي بعد ذلك بسنوات أن نتفح لي القلوب المغلقة في ظروف جدّ مختلفة، وتمدني بالحقائق المرعبة وتفسّر لي ما غمض عليّ فهمه من الأحداث في إبان وقوعها"²، الأمر الذي أكده في موضع آخر قبل افتتاح حواراه مع (إسماعيل الشيخ) "وفي تاريخ متأخر نسيئاً تهيأت لي ظروف وثقت ما بيني وبين بعض أصدقاء الكرنك، وعند ذاك علمت منهم ما لم يكن لي به علم، فاطلعت على خبايا الأحداث والقلوب وشربت الكأس حتى الثمالة"³.

لقد أتاح هذا النمط الحوارى للراوى تصنيف الأقوال وفق الأهمية، فما هو دون الأهمية يُسرد بوصفه حدثاً، ويسهم في توجيه الحوار حجاجياً، مثل أن تكون مدخلات أو عرض أيديولوجيات شخصية بما يخدم مقاصد الراوى الحجاجية، فإن الراوى يعمد إلى إبرازها بأصواته المعينة.

رابعا: الحوار التفاوضى

هو نوع من الحوار يعتمد على مبدأ المساومة لتحقيق مصلحة أحد الطرفين على مصلحة الآخر، ويصبح فيه "الاهتمام الأكبر إلى جئي أكبر قدر من التعاون لكي يأخذ كل طرف نصيبه"⁴. وليس من ريب في أن مثل هذا النمط الحوارى قد سجّل حضوراً مكثفاً في حوارات الاعتقالات مع

1. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص516.

2. المصدر نفسه، ص519.

3. المصدر نفسه، ص525، ومنها ص529 (كانت التجربة قاسية)، وص530 (ومضى زمن...).

4. رشيد الراضى، الحجاج والمغالطة.

(زينب دياب وإسماعيل الشيخ)؛ إذ ظهرت مساومة (خالد صفوان) معها واضحة لتجنيدهما مُرشدَيْن لجهاز المخابرات. وهذا ما يمثله حوارُه مع (إسماعيل الشيخ) عقب اعتقاله الأول:

- "واضح أنك تلتزم بالصمت احتراماً لعهد الصداقة.
- وسكت لحظة ثم استطرد: وذاك الإيمان بالصداقة يجعلنا نطمع في صداقتك!
- تُرى متى يأمر بالانصراف؟
- كن صديقاً لنا، قلت إنك تنتمي للثورة وأنا أصدقك، فلتكن صديقاً لنا، ألا يُرضيك ذلك؟
- إنه ليسعدني يا سيدي.
- كلنا أبناء ثورة واحدة وواجب علينا أن نصونها بقوة، أليس كذلك؟
- طبعاً.
- ولكن لا بد من موقف إيجابي، نريد صداقة إيجابية!
- إني أعتبر نفسي صديقاً منذ البدء.
- يُرضيك أن تعلم بأن شرّاً يهدد الثورة وتسكت عنه؟
- كلا.
- هذا ما نطالبك به، وستذهب إلى زميل ليهديك سواء السبيل، ولكنني أحب أن أذكرك بأننا قوة تملك كل شيء ولا تخفى عنها خافية، تكافئ الصديق وتكفل بالخائن!"¹.
- إن إشارات ملفوظات الحوار الآنف لتؤكد سمة التفاوضية بوضوح، فالجمل الحوارية في مستهل الحوار تبدو استقطابية تعتمد تقنيات حجاجية متنوعة نحو: التكرار اللفظي أو المعنوي، كما تركز على صيغة التأكيد بوساطة الاستفهام الإنكاري، وهذا تحليله:

1. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص 530-531.

تقنية الحجاج	إشارية الملفوظ	الملفوظ الحوارى
حجة منطقية.	مقدمة تأسيسية وتهديدية لما يليها.	"واضح أنك تلتزم بالصمت احتراماً لعهد الصداقة".
إضمار المطالبة بالصمت وعدم البوح بالمهمة المكلف بها من جهاز المخبرات.	نتيجة منطقية للجملة السببية الآتية.	"وذاك الإيمان بالصداقة يجعلنا نطمع في صداقتك!"
التأكيد بالتكرار اللفظي (كن صديقاً لنا - فلتكن صديقاً لنا).	استقطاب عاطفي	"كن صديقاً لنا، قلت إنك تنفي للثورة وأنا أصدقك، فلتكن صديقاً لنا، ألا يرضيك ذلك؟"
التأكيد بصيغة الاستفهام (ألا يرضيك ذلك؟)	تقرير حقيقة الانتماء للثورة، وضرورة الالتزام بحمايتها وصيانتها بقوة.	"كلنا أبناء ثورة واحدة وواجب علينا أن نصونها بقوة، أليس كذلك؟"
التأكيد بالتكرار اللفظي (موقف إيجابي - صداقة إيجابية).	تأكيد دلالة الجملة الحوارية الآتية، من ضرورة العمل الإيجابي لأجل حماية الثورة.	"ولكن لا بد من موقف إيجابي، نريد صداقة إيجابية!"
المغالطة المنطقية باستخدام الألفاظ	إخفاء الحقيقة	"أيرضيك أن تعلم بأن شرّاً يتهدد الثورة وتسكت عنه؟"

المشحونة بالمعنى الانفعالي (شر- يتهدد- تسكت عنه) واستخدام الاستفهام الاستنكاري.		
الأسلوب الخبري التقريري.	بداية الخلاص من الأسلوب الاستدراجي والاستقطاب العاطفي.	"هذا ما نطالبك به، وستذهب إلى زميل ليهديك سواء السبيل"
الاحتكام إلى القوة (قوة المتكلم) قوة تمتلك كل شيء- لا تخفى عنها خافية- تنكل بالخانن).	سقوط القناع، والكشف عن الغاية والهدف من الحوار.	"ولكنني أحب أن أذكرك بأننا قوة تملك كل شيء ولا تخفى عنها خافية، تكافئ الصديق وتنكل بالخانن!"

وتظهر السمات التفاوضية في مقطع حوارى آخر بين (خالد صفوان) و(زينب دياب) عقب الإفراج عنها بعد الاعتقال الأول:

- "لا يُصدّق أن ما يحدث هنا مما ترضى عنه الثورة!
- إنها حماية الثورة، وهي أهم على أي حال من الأخطاء المحدودة، ونحن نبادر إلى إصلاح ما ينبغي إصلاحه منها، وسوف تذهبن وقد اكتسبت قيمة جديدة هي صداقتنا.
- أحمق في بكاء عصبي طويل، عجزت تماماً عن مقاومته، فتصبر هو هادئاً حتى سكتت ثم قال:
- ستذهبن الآن إلى أحد معاويتي، وسيعرض عليك مشروع صداقة لا يُقدّر بثمن.

وصمت لحظات ثم استطرده:

- نصيحتي لك ألا ترفضه، إنه فرصة العمر!¹

لقد كانت الاستراتيجية التوجيهية هي المسيطرة على هذا النمط الحوارى، فمن خلالها يمارس أحد طرفى الحوار "فضولاً خطابياً على السامع، بتوجيهه لمصلحته بما يعود إليه بالمنفعة، أو يبعد عنه الضرر"²، ولعل القاسم المشترك كما لاحظنا فى حوار (خالد صفوان) مع (إسماعيل الشيخ وزينب دياب) أن المساومة كانت باسم الصداقة، الاسم المستعار للإرشاد، فإذا كنت تعمل مرشداً للجهاز المخبرات، فإن هذا يعنى أنك صديق للدولة وحليف لها، كما يعنى أنك بوصفك صديقاً للدولة فلن تمسك الدولة بسوء، ولن ينالك ما ينال أعداء الدولة من اعتقال وتعذيب وهوان.

لقد ساوم (خالد صفوان) (إسماعيل وزينب) على الكرامة والأمان والآدمية؛ قيم تضحى هباءً منشوراً حال رفضهم عرض (الصداقة) المشروط من (خالد صفوان).

خامساً: المقارعة الشخصية

من أنماط الحوار الحجاجى، وإن كانت درجة حجاجيته لا تصل إلى أعلى مستوى حجاجى؛ إذ "يقبل فيه التعقل والاعتزان، لأن الهدف الذى يوجهه هو مجرد الرغبة فى قهر الخصم وإلجائه... ويكون الضابط لمسارها هو الهدف الأخير المتمثل فى كسب هذه المنازلة الكلامية المتحررة من كل القواعد"³.

وإذا كان نمط الحوار التفاوضى قد احتل كثافة حضورية فى فضاء الرواية عبر خطاب الاعتقال بين (خالد صفوان وزينب دياب) من جهة، و(خالد صفوان وإسماعيل الشيخ) من جهة أخرى، فكذلك احتفت الرواية بنمط المقارعة الشخصية فى سياق خطاب الاعتقال أيضاً؛ إذ طغى فيه الاتهام الموجه للطرف الضعيف (إسماعيل وزينب)، من قبل الطرف القوى (خالد صفوان)، وقد أفصحت ملفوظات هذا النمط عن ذلك على نحو ما يتبدى من المقطع الحوارى التالى على لسان (زينب دياب):

1. المصدر نفسه، ص536-537.

2. عبد الهادى بن ظافر الشهرى، استراتيجيات الخطاب، ص222.

3. رشيد الراضى، الحجاج والمغالطة، ص113.

- "ولما مثلتُ أمام خالد صفوان، قال لي ساخراً: ها هي الصداقة بيننا تتوطد. فقلت له: لا أدري لم قُبض عليّ؟
- ولكنني أدري.
- فما هو السبب يا سيدي؟
- السبب يرجع إلى مبادئ السيدين الجليلين ماركس ولينين! وصمت وهو يتفّرس في وجهي بحدة، ثم قال:
- أجيبي تحت شرط ألا ترجعي للحُجة البالية؛ حُجة كيف تشكّون فينا ونحن أبناء الثورة...
- فقلتُ له وأنا يأسّة تماماً من إقناعه:
- لسنا شيوعيين وأقسمُ لك على ذلك. فتمم بغموض: يا للخسارة.
- ورُميّتُ في الزنزانة معرّضة لعذاب مُهين لا تُقدّر أذاه إلا امرأة... واستدعيّتُ مرة أخرى إلى حُجرة خالد صفوان فقال لي:
- أرجو أن تكوني راضية عن ضيافتنا. فقلتُ بجرأة: كل الرضى يا سيدي، شكراً لكم.
- ها هو صديقك قد اعترف بشيوعيته! فهتفتُ: تحت تأثير تهديدكم.
- ولكنه حقيقتي بصرف النظر عن الوسيلة.
- قطعاً لا يا سيدي، إنها لفظاعة!¹
- والأسلوب ذاته تكرر مع (إساعيل) في أمر اعتقاله الأول، يحكي معاناته للراوي قائلاً: "وقد انتهى فجأة وعلى غير انتظار، في حجرة خالد صفوان أيضاً ساقوني إليه، فبادرني قائلاً:

1. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص 535-536.

- ثبت أن اسمك دُون في السجل لأنك تبرعت بقرش لبناء جامع ودون أن تكون لك صلاة بهم.
فقلْتُ بانفعال وتهْدج: ألم أقل لك ذلك يا سيدي؟
- الخطأ له عذر أما التهاون فلا عذر له. ثم بقوة: نحن نحمي الدولة التي تحرركم من كافة أنواع العبودية.
- وإني من أبناءها المؤمنين.
- اعتبر الأيام التي أمضيتها هنا ضيافة، وتذكّر دائماً أنك عوملت معاملة طيبة، أرجو أن تتذكّر ذلك دائماً، وأن عشرات الرجال سهروا الليالي في جهد متواصل حتى ثبتت لهم براءتك.
- الشكر لله ولكم يا سيدي¹.
- لاحظنا أن مفردات المعجم اللغوي الحواري لـ(خالد صفوان) كاد أن يكون واحداً في المقطعين الحواريين:

حوار خالد صفوان مع إسماعيل	حوار خالد صفوان مع زينب
صفوان "اعتبر الأيام التي أمضيتها هنا ضيافة".	صفوان "أرجو أن تكوني راضية عن ضيافتنا".
إسماعيل "الشكر لله ولكم يا سيدي".	زينب "كل الرضى يا سيدي، شكرا لكم".
إسماعيل "وإني من أبناءها المؤمنين".	زينب "حجة كيف تشكّون فينا ونحن أبناء الثورة.."

وتجلت كذلك أساليب الهجوم والالتهام في الخطاب الحواري للاعتقال الثاني كما يروينا (إسماعيل الشيخ)، يقول إنه حين مثل بين يدي (خالد صفوان):

1. المرجع نفسه، ص 529.

- "وقفتُ صامتًا مستفيدًا من تجربتي السابقة، متوقعا الشر- رغم ذلك من جميع الجهات الأصلية، وتقرّس خالد في وجهي وقال:
- يا لك من داهية، حسبنك يومًا من الإخوان!
- فقلّت بنبرة ذات مغزى: وظهرت براءتي!
- ولكن ما خُفي كان أعظم.
- فقلّت بإخلاص: إني مؤمن بالثورة، هذه هي الحقيقة الوحيدة.
- فقال بسخرية: الجميع مؤمنون بالثورة، في هذه الحجرة يجهر الإقطاعيون والوفديون والشيعيون بإيمانهم بالثورة!
- وحدجني بنظرة قاسية ثم سأل:
- متى انضممت إلى الشيوعيين؟
- ووثب الرفض إلى حلقي ولكنني كتمته، وارتفع منكباي بحركة عكسية كأنما ليخفيا قفائي، ولم أنبس...
- عاد يسأل: متى انضممت إلى الشيوعيين؟ فواصلت الصمت.
- ألا تريد أن تعترف؟
- استسلمت للصمت كما تعودت أن أستسلم للبلاء في الحجرة المظلمة، فتمتم: طيب...¹.
- لقد توالى أساليب الهجوم في الحوار الآنف في مقابل انعدامية وسائل الدفاع، إلى أن ظهرت أقوى وسيلة هجوم وضغط على (إساعيل الشيخ)، كانت (زينب دياب) هي الجرح الغائر في قلب إساعيل، فما أن نكأه (صفوان)، فهم (إساعيل) المراد:
- "ها أنت تعرفها ويهيك أمرها فيما يبدو.
- ونقل عينيه الغائرتين بيننا ثم تساءل:
- ألا يهيك أمرها؟
- تمزقت روعي دقيقة كاملة.

1. نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، الكرنك، ص 529-530.

- أنت مثقف ولك خيال، فهل تتصور ما يمكن أن يحل بهذه الفتاة البريئة فيما لو أصرت على الصمت؟
سألته بنبرة رثاء موجهة للعالم جميعاً:
- ماذا تريد يا سيدي؟
- إني أسأل متى انضمت إلى الشيوعيين؟
فقلتُ دافئاً آخر شعاع من أمل:
- لا أتذكر تاريخاً معيناً ولكنني أعترف بأنني شيوعي.
وسجلتُ اعترافي على ورقة ثم غادرتُ الحجرة بين حُراسي¹.
- إن المقارعة الشخصية التي تمت بتلك التقنية الآتية، لتؤكد أنها تقنية حجاجية ناجعة لطرف واحد فحسب في العملية الحوارية، وغالبا ما يكون هذا الطرف هو الأقوى؛ إذ يستطيع بقوة سلطانه أو مكانته الاجتماعية أن يهيم حصاره على الطرف الأضعف المقابل له حوارياً، ويحكم قبضته حتى يحقق المكسب والمنفعة.
- وقد حاولتُ تصنيف تقنيات الهجوم ومحاولات الدفاع في المقطع الأول والثاني والثالث ودلالاتها، فوجدت ما يلي:
- أولاً: المقطع الحوارى بين صفوان وزينب:

تقنية الهجوم	دلالة التقنية	تقنية الدفاع	دلالة التقنية
"لما مثلتُ أمام خالد صفوان".	المتول بعد إلقاء القبض عليها يؤكد دلالة القهر.	"لا أدري لما قبض علي".	الحيرة والارتباك حيال أمر الاعتقال.

1. المصدر نفسه.

		دلالة السخرية؛ إذ لا صداقة بين حمّاز المخبرات والمتهم.	"قال لي ساخرًا: ها هي الصداقة تتوطد بيننا".
الحيرة والارتباك.	"فها هو السبب يا سيدي؟".	محاصرة.	"ولكنني أدري".
الشعور بالوقوع في شرك المؤامرة.	صمت.	محاصرة.	"السبب يرجع إلى مبادئ السيدين الجليلين ماركس ولينين".
يأس وإحباط.	"فقلْتُ له وأنا يأسُة تمامًا من إقناعه".	إلقاء الرعب والرهبة.	"صمت وهو يتفرس في وجهي بجدة".
محاولة دفاع.	"لسنا شيوعيين وأقسم لك على ذلك".	إلقاء الرعب والرهبة.	"أجيبني تحت شرط ألا ترجعي للحجة البالية".
		عدم الاقتناع.	"فتمت بغموض"
فشل محاولة الدفاع.	"ورُميتُ في الزنزانة".	إيدان بالشرع في فعل قهري لاحق.	"للخسارة"

ثانيا: المقطع الحواري بين صفوان وإسماعيل

كاد خطاب المقارعة الشخصية مع إسماعيل الشيخ، أن يتشارك في تقنياته ودلالاته مع خطاب المقارعة مع زينب دياب الآنف تحليله، وهذا تفصيله:

دلالة التقنية	تقنية الدفاع	دلالة التقنية	تقنية الهجوم
الخوف من المجهول.	"وقفتُ صامتًا مستفيدا من تجريبي السابقة، متوقعا الشر".	المثول بعد إلقاء القبض عليه يؤكد دلالة القهر. إلقاء الرعب في النفس.	حين مثل بين يدي خالد صفوان "وتفرّس خالد في وجمي".
محاولة دفع هذه التهمة وغيرها من التهم الجاهزة.	"فقلْتُ بنبرة ذات مغزى: وظهرت براءتي!"	محاصرة بالاتهام المباشر.	"يا لك من داهية، حسبناك يومًا من الإخوان!".
محاولة دفاع.	"فقلْتُ بإخلاص: إني مؤمن بالثورة، هذه هي الحقيقة الوحيدة".	إنذار بتهمة لاحقة جديدة.	"ولكن ما خُفي كان أعظم".
يأس من المقاومة	تجمدت محاولة الدفاع	السخرية من حقيقة إيمانه بالثورة، واتهامه بأن كل	"فقال بسخرية: الجميع مؤمنون بالثورة، في هذه الحجرة يجهر

		أعداء الثورة يدعون الإيمان بها.	الإقطاعيون والوفديون والشيوعيون بإيمانهم بالثورة!".
يأس من المقاومة	تجمدت محاولة الدفاع	إلقاء الرعب والرهبة.	"وحدجني بنظرة قاسية ثم سألت: متى انضمت إلى الشيوعيين؟".
استسلام.	"فواصلت الصمت".	الإصرار على كسب المعركة.	"عاد يسأل: متى انضمت إلى الشيوعيين؟".
استسلام.	"استسلمت للصمت كما تعودت أن أستسلم للبلاء في الحجرة المظلمة".	إيدان بالشروع في فعل قهري لاحق.	"ألا تريد أن تعترف؟".
فشل محاولة الدفاع.	"تمزقت روعي دقيقة كاملة". "سألته بنبرة رثاء موجهة للدينا جميعا: ماذا تريد يا سيدي؟"	محاولة ضغط وحصار عاطفي	"فتمتم: طيب.. "ها" أنت تعرفها ويهملك أمرها فيما يبدو".
استسلام	"فقلت دافئا آخر شعاع من أمل: لا أتذكر تاريخًا معيّنًا ولكنني أعترف بأنني شيوعي".	محاصرة وتوجيه بالاعتراف	"إني أسأل متى انضمت إلى الشيوعيين؟".

لقد تحققت منفعة (خالد صفوان) من مقارنته الحوارية مع (إسماعيل الشيخ) كما تبين، والدليل أن (إسماعيل) قد خضع لتقنيات الترهيب والإذلال، التي تنوعت ما بين أفعال لغوية (يا لك من داهية، حسبتك يوماً من الإخوان!) - "إني أسأل متى انضممت إلى الشيوعيين؟" - "ألا تريد أن تعترف؟" وأفعال غير لغوية ("وحدجني بنظرة قاسية- وتقرس خالد في وحمي)، وكلها حدثت به في النهاية إلى تسجيل اعترافه على ورقة، ثم مغادرته حجرة التحقيق بين الحراس¹.

الخاتمة والنتائج

وبعد هذه المقاربة الحجاجية لتقنية الحوار في رواية الكرنك، نخلص إلى جملة من النتائج، من أهمها:

- تكشف العلاقة القائمة بين الحوار والحجاج؛ إذ يتضمن الحوار الحجاج، والحجاج جزء من بنية الحوار، وهو أساس التفاعل الحوارى بين الطرفين واستمرارية التواصل.
- أدى سياق التلفظ في الرواية إلى الكشف عن المقاصد التي كانت وراء المقاطع الحوارية.
- أسهم التنوع في أنماط الحوار في رفع كفاءة الحوار الروائى حجاجياً، وزيادة مقبولية الطرح الإيديولوجى لدى المتلقى.
- تحقيق الهدف وكسب المنفعة هما القاسم المشترك بين نمط الحوار التفاوضى ونمط المقارعة الشخصية، بيد أن الحوار التفاوضى لا يتسم بقهر المحاور ولا تعنيفه أو ترهيبه، بل محاولة التضامن معه، أو التظاهر بالتضامن معه وهي من أهم خصائص نمط الحوار التفاوضى.
- إن التنوع الحوارى أسهم في رفع الطاقة الحجاجية لدى المتلقى في تبنى أيديولوجية محفوظ إزاء الثورة التي مرحلت بأطوار ثلاثة؛ فجعلته يشعر مع محفوظ أن البداية كانت إيماناً بها، وامتناناً لها، ثم حدث ما يززع ذلك الإيمان ويخلخله، ثم تتطور الأحداث التي يستحيل فيها الإيمان كفرةً، والتصديق تكذيباً.

¹. ينظر: الكرنك، ص 529-530.

المصادر والمراجع

المصادر:

- نجيب محفوظ، الأعمال الكاملة، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1990.

المراجع:

- باختين، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، د.ط، 1978.
- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979.
- رشيد الرازي، الحجاج والمغالطة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010.
- سامية الدريدي، دراسات في الحجاج، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، د.ت.
- صالح بن عبد الله بن حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام، دار المنار للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1994.
- طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، درس افتتاحي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب، 2002.
- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء: ط1، 1998م
- عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال (مقاربة سردية تداولية)، كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2015
- عادل عوض، تعدد الأصوات في الرواية المحفوظية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، د.ط 2009.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة، بيروت، 2004.
- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، باب الرء، ط8، 2005.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، باب الرء، ط1، 1990.